سماحة
السيد علي الأمين

عضو مجلس حكماء المسلمين، وهو من أحد علماء لبنان البارزين؛ حيث إنه ترأس معهد الشرع الإسلامي في مدينة بيروت، ومعهد الإمام الصدر للدراسات الإسلامية في مدينة "صور"، كما أنه شغل منصب الإفتاء في "صور" و"جبل عامل". شخصيته المعتدلة أهلته ليكون من دعاة الحوار والعيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين، ومن دعاة الوحدة الإسلامية والحوار بين المذاهب والأديان.

سماحة السيد علي الأمين

هذا اللقاء الذي يحصل اليوم في مدينة أبو ظبي على أرض دولة الإمارات؛ دولة التسامح الإنساني والتعايش السلمي بين أتباع الديانات والثقافات، والذي يجمع قيادات دينية عالمية في طليعتها قداسة البابا فرنسيس بابا السلام، ورئيس مجلس حكماء المسلمين الإمام الأكبر شيخ الأزهر أ.د. أحمد الطيب إمام الوسطية والاعتدال، هو لقاء تاريخي يعزز الروابط الإنسانية ويعمل على نبذ ثقافة التعصب والعنف والكراهية من خلال نشره وتجسيده للقيم الروحية الداعية إلى السلم العالمي والحوار والأخوة بين جميع بني البشر.

وفي هذا اللقاء دلالة كبرى على سمو الإنسان بسعيه -عبر الحوار- إلى التلاقي والتفاهم مع شركائه في الوجود الإنساني؛ فإن الحوار بين الشعوب والأمم يعتبر من علامات وسمات الحضارة والرقي، وهو النموذج الذي يجب أن تقوم عليه العلاقات المتبادلة بينهم. ونعتقد أن الأخوة الإنسانية بين البشر هي في جوهر الرسالات السماوية؛ حيث إن الإنسان فيها هو المحور لكل الرسالات والرسل، فلولا وجود الإنسان لم يكن هذا الكون بحاجة إلى إرسال رسلٍ ورسالات.

وكلما تطورتِ الأنظمة في مجالات العلوم والصناعة تشتد الحاجة إلى الانفتاح والتواصل بين الدول والشعوب، وهذا ما يتحقق بالحوار الجاد بينها بحثاً عن قيم التسامح والعدل؛ لأن الحوار الجاد لتلك الغاية السامية هو الذي يضمن استمرار تقدمها ويجلب المجتمع

البشري مخاطر التطور في صناعة آلة الحرب المدمرة، وهو الذي يزرع الثقة بينهم ويبدد مخاوف الإنهيار والدمار.

ولا شك بأن القيم الدينية تقوم بدور فعال ومؤثر في هذا الجانب؛ لأنها مصدر تعليم للإنسان يزوده بالتعاليم المفيدة والإرشادات النافعة في إصلاح مسيرة الحياة الاجتماعية، وهي كفيلة -لو طبقها الإنسان في سلوكه- بأن تصنع منه إنسانا يسعى إلى الخير العام ويتخلى عن استخدام وسائل الشر والخراب، ويزرع بدلا من ذلك الوئام والانسجام والسلام بين جميع بني البشر؛ لأنها تشتمل على قيم روحية ومبادئ إنسانية تنمي في نفسه عوامل الخير والصلاح وتنزع منها نوازع الشر والفساد، فيبتعد بها عن الظلم ويسعى لإقامة العدل، وتجعله كارها للتسلط والاستغلال وحب السيطرة والعدوان. وبتمسك الإنسان بتلك القيم وتجسيده لها في حياته يستحق أن يكون خليفة الله في أرضه وخلقه.

وفي اعتقادنا أن الحوار بين أهل الأديان والثقافات يجب أن يبتعد عن مسائل أصبحت في ذمة الماضي والتاريخ؛ فالذين ارتكبوا المجازر في الحروب هم أنفسهم يتحملون أوزار ما ارتكبوه، ونحن لا علاقة لنا بما جرى، ولسنا مسؤولين عن ذنوبهم وخطاياهم، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

إن وقوع خلافات وحروب في الماضي باسم الدين لا يمكن إنكاره، ولكن الذي يمكننا إنكاره ونفيه هو علاقة الدين بذلك؛ لأن الكتب التي تمثل الدين ترفض الظلم والعدوان، وكل تلك الصراعات الدموية بين الأفراد والجماعات البشرية؛ وفي هذا الشأن نقول: إن الحروب والصراعات وما نتج عنها من المآسي في الماضي، لم تكن بسبب الأديان؛ وإنما كانت بسبب سعي الإنسان لتحقيق طموحاته غير المشروعة للسلطة، وأطماعه في السيطرة والنفوذ، وقد ظهرت نماذج لهذه الصراعات منذ زمن قابيل وهابيل وقبل ولادة المذاهب والأديان وبعدها؛ وعلى سبيل المثال فقد أزهقت الحربان العالمية: (الأولى والثانية) من الأرواح

البشرية ما يقارب المئة مليون قتيل؛ والأسباب لم تكن دينية. وإن تم استغلال الأديان أحيانا في بعض الحروب بالباطل والتلاعب بنصوصها وتشويهها من أجل تبرير ارتكاب تلك المنكرات باسم الله والدين؛ المسيحية ليست مسؤولة عما جرى من حروب باسمها، والإسلام ليس مسؤولا عما جرى من حروب باسمه فالإنجيل الذي يقول: (لا تقتل)، كيف يكون مسؤولا عن القتل! والقرآن الذي يقول: ﴿وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ و﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، كيف يكون مسؤولا عن القتل والعدوان؟! إنها مسؤولية الإنسان الذي ابتعد بأطماعه وخطاياه عن تعاليم الله، وإنها جنايات وجرائم الإنسان الذي استغل الدين المقدس لمآربه فحوَّلَه إلى أداة من أدوات تعبئة النفوس بالكراهية والبغضاء وزرع الفرقة بين الناس باسم الله والدين؛ ليصل إلى أهدافه غير المقدسة من السيطرة والزعامة والتوسع والتسلط على الآخرين.

وإننا بالعودة إلى تعاليم الدين نجد أن الدين ينطلق في نظرته إلى الإنسان من خلال إنسانيته التي يتساوى فيها أفراده بعيدا عن النظر إلى انتماءاتهم العرقية، واختلافاتهم في اللغات والألوان والثقافات والديانات. وهذا التعدد في الأفراد والجماعات، والتنوع في الأعراق والديانات والثقافات -وإن كان يعني وجود المختلفين فيها واقعا وحقيقة- ولكنه لا يعني بالضرورة تفاضلا وامتيازا لعرق على آخر، ولا لذي لون على ذي لون آخر، ولا لذي لغة على ذي لغة أخرى...؛ لأن معيار التفاضل في نظر الدين ليس في تلك الاختلافات والانتماءات، فهم جميعا يرجعون في الخلق إلى أصل واحد، كما ورد في الحديث: (كلكم لآدم، وآدم من تراب).

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم من أصلهم شرف يفاخرون به؛ فالطين والماء

ويرى المتتبع للتعاليم الدينية في الكتب السماوية دعوتها الواضحة إلى الأخوة الإنسانية بين جميع بني البشر؛ لتساويهم في أصل الخلق والتكوين. فكل فرد من البشر هو مساوٍ لغيره ومعادل له في الإنسانية الموجودة في أفراد الأمم والشعوب على حد سواء، وقد ورد في

القرآن الخطاب لكل الناس: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. وورد في الإنجيل أيضا: (أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى؟) فهذه المساواة في أصل الخلق تبطل كل دعاوى الامتياز في العنصر، والله يقول في القرآن الكريم: ﴿... كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... ﴾ و﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وهذا يعني أن معيار التفاضل عند التعدد والاختلاف هو في التقوى التي تعنى العمل الصالح الذي يشمل حسن العلاقة مع الآخر ومنفعته، كما ورد في الحديث: (الخلق كلهم عيال الله، وأحبُّهم إليه أنفعهم لعياله) و (أحبب لغيرك ما تحب لنفسك وأكره لغيرك ما تكره لنفسك) وكما ورد في الإنجيل: (كل ما تريدون أن يعاملكم الناس فيه، فعاملوهم أنتم به أيضا هذه خلاصة تعليم الشريعة والأنبياء) وفيه أيضا: (وإن سلمتم على إخوتكم فقط في فضل تصنعون؟ أليست العشارون أيضا يفعلون ذلك؟). وفي الحديث الديني: (ليس منا من دعا إلى عصبية) و(لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى) ومنه أيضا: (إذا كان لا بد من عصبية فليتعصبوا إلى مكارم الأخلاق وإلى محاسن الأمور وإلى محامد الأفعال).

فكل دعوة فيها انحياز من صاحبها إلى قومه بالباطل هي دعوة مرفوضة دينيا؛ لأنها تخالف العدل. وقد جاء في العهد القديم: (وأوصوا بنيكم بعمل العدل والصدقات) وفيه أيضا: (لأن الرب عادل ويحب العدل)، وقد ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: (وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) وفيه أيضا: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى).

وهذه التعاليم الدينية التي تظهر بطلان دعوات الحروب باسم الدين التي وقعت في الماضي -في اليوم أيضا- تكشف لنا كذب وبطلان دعوات التطرف والإرهاب وبث الكراهية بين الشعوب والأديان باسم الدين، وتبين لنا أنها حركات مشبوهة تستغل الدين في صراعاتها من أجل الوصول إلى غاياتها في السلطة والسيطرة.

وقد عشنا معا في هذا الشرق -قبل ظهور هذه الحركات الإرهابية- بسلام ووئام ونحن

مختلفون في الدين، ولقاؤنا اليوم في دولة الإمارات بلد التسامح والتعايش الإنساني بين جنسيات متنوعة وديانات متعددة هو رسالة من هذا البلد إلى العالم بأسره، نقول فيها: بأننا متمسكون بهذا العيش بسلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

معا عشنا بأرض الشرق دهرا نصارى إخوة للمسلمينا
ونحن على خطى الأجداد نمضي بإيمان وعزم لن يلينا
ونبقى الأوفياء لما ورثنا بسلم واعتدال مؤمنينا
نصون بذاك عهد العيش أهلا ولن نرضى بغير الحب دينا

وما أحوج البشرية اليوم إلى مثل هذه التعاليم الدينية عن العدل والتسامح والأخوة الإنسانية؛ فبهذه التعاليم وتجسيدها بقوانين تحكم سلوكياتنا وأنظمتنا السياسية، تزدهر المجتمعات البشرية وتستمر على طريق الأمن والسلام، وتدفع عنها مخاطر الإرهاب والحروب وويلاتها ومآسيها.